باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ([1]). وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ([2]) **عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لُدِغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة. قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله. فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه فأخبروه، فقال: (هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: (سبقك بها عكاشة).** ([3])**فيه مسائل: الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد. الثانية: ما معنى تحقيقه. الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين. الرابعة: ثناؤه على**

---

[1]) النحل : ١٢٠

[2]) المؤمنون : ٥٩ .

[3]) رواه مسلم ـ ٤٧٣ ـ (٢٢٠) ، وأحمد في المسند برقم (٢٤٤٨) .

سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك. الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل. السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير. التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. العاشرة: فضيلة أصحاب موسى. الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام. الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها. الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء. الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده. الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة. السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة . السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني. الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه. التاسعة عشرة: قوله: (أنت منهم) علم من أعلام النبوة. العشرون: فضيلة عكاشة. الحادية والعشرون: استعمال المعاريض. الثانية والعشرون: حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

الشـرح

أتى المؤلف بهذا الباب « باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب » لان الباب السابق « باب ما جاء في فضل التوحيد وما يُكَفِّر من الذنوب » فيُعد هذا الباب من فضل التوحيد ، أي أنَّ مِنْ فضل التوحيد أَنَّ مَنْ حَقَّقَه دَخل الجنة بغير حساب ، فهذا مناسبة هذا الباب للباب السابق .

ففى هذا الباب يظهر حرص الإمام المجدد على الدعوة لتحقيق التوحيد فقد أبدى وأعاد فى ذلك رحمه الله وغفرَ له وأعلا درجته ، وجزاه الله عن الموحدين خيرَ الجزاء ، وكبت أعداءه وأعداء التوحيد وخذلهم ودحرهم ، فإنَّهم يُسَمُّونَ من تمسك بالسنَّة ودعوة التوحيد بـ

(الوهَّابي) وكلمة الوهابي في الحقيقة ليست وصمة وإنما هي تشريف ، فهي نِسبة إلى اسم الوهَّاب وهو الرب جَلَّ وعلا الإله الوهَّاب الواحد الأحد ، لكنهم لا يُريدون بهذه النسبة التشريف وإنما يريدون أن ينبذوا الشيخ الإمام –رحمه الله تعالى – وينبذوا دعوته ،ويريدون أن ينفروا الناس عن هذه الدعوة المباركة التي استفادت منها البلدان شرقًا وغرباً من أول بلاد السند والهند إلى أقصى بلاد المغرب ، ومن شمال الشام إلى أقاصي اليمن ، وهذه الدعوة المباركة إنما تعتمد على الدليل من الكتاب والسُنَّة ، والشيخ لم يذكر في كتابه إلا الترجمة وبعدها آية أو آيات أو حديث أو أحاديث ، فهولم يشرح هذا الكتاب ويتَّكلم فيه بكلامه وإنما غاية ما ذكره بعض الفوائد التي هي مسائل ،وهذا التشكيك موجود مبثوث في القنوات الفضائية وفي غيرها ممنْ لا يريدون نُصرة هذا الدين ولا هذا التوحيد . ولكنَّ الله جل وعلا قضى بأنه ناصرٌ دينه وكتابه ورسله وأولياءه ، وناصر الموحدين في كل زمان ومكان ، ومن فهم هذه الدعوة فهمًا صحيحًا فإنَّه لا يكون عنده أدنى شك في صحة ما يدعو إليه الشيخ – رحمه الله تعالى – فإنَّه جاء في وقت كانت الجزيرة العربية مليئة بالخرافات والأباطيل ، والأوثان والأشجار والأحجار التي تعبد من دون الله ، وإنْ شئت أن تتعرف على هذا على وجه الحقيقة واليقين فأقرأ كتاب تاريخ نجد لابن غنَّام أو ابن بِشْر وغيرهما ترى ما كانت عليه الجزيرة في ذلك الوقت حتى إنَّ المرأة كانت تذهب إلى جذع النخلة تقول لها : يا فحل الفُحُولِ أريد بعلاً قبل الحَول ، وكانت الأصنام والأوثان والأضرحة منتشرة في الجزيرة العربية من أدناها إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها وكانوا يقولون : لا نعرف دينًا إلا ما عليه الآباء والأجداد ، وكان منهم من يُنكر البعث والحساب ، ومن يذبح للجن .

ومن يقرأ تاريخ هذه الدعوة المباركة في تلك الأماكن ويرى ما منَّ اللهُ جلَّ وعلا به على الجزيرة بعد ذلك يعرف كيف جاهد هذا الإمام في سبيل نشر التوحيد وفي سبيل رفع راية التوحيد ، وكيف ضحى بالغالي والثمين ، وجابَ البلاد شرقًا وغربًا في سبيل نشر هذه الدعوة

المباركة التي وصلت إلينا الآن ونحن في أتم راحة وعافية ورفاهية ، فلا يعتد الموحد بما يُشغب به هؤلاء ، ودورنا نحن أنْ نفهم هذه الدعوة فهمًا صحيحًا ، وهذا الكتاب كما ترى عبارة عن أدلة من الكتاب والسنة وآثار للسلف الصالح والصحابة والتابعين ، وليس كما يدعي البعض أنَّ هذا أسلوب قديم ، وإنما هو حكم ودليل فإنَّ هذا الدليل هو الوحي وهو النور وهو شفاء وفيه البركة وفيه الخير العميم للمسلم ويدعوه أن يدور مع الدليل حيث دار ، فإن الله جل وعلا سمى هذا الوحي نورًا ، و شفاءً ، و هدى ، و موعظة وقال : { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ } [العنكبوت :٥١] فالدعوات المضلة كثيرة ، والمسلم عليه أن لا يبالي بتلك الدعوات فعليه أن يقصد النهر رأسا ويدع القنوات الجانبية{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} [الشعراء : ٢٢٧] .

فعلى المسلم أن يهتم بهذا النوع من التوحيد وهو توحيد العبادة ، لأنه أعظم ما يحتاج إليه الشاب الناشئ أو الناسك حتى يصحح توحيده ويصحح عبادته ويعبد الله جل وعلا على بصيرة وبرهان و نور .

قوله : **باب « من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب »** وهذا الباب كالتكملة للباب السابق باب فضل التوحيد وما يُكفِّر من الذنوب لأنَّ من فضل التوحيد أن من حققه دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، لكنَّ هناك فرقاً بين هذا الباب والباب السابق ، فالباب السابق (باب فضل التوحيد...) يشترك فيه كل مسلم ؛ لأن كل مسلم له نصيبٌ من التوحيد ، أمَّا هذا الباب (باب من حقق التوحيد ...) فهذا للخواص من أهل التوحيد الذين حققوا التوحيد وأتوا بالتوحيد الكامل .

وتحقيق التوحيد على مرتبتين : مرتبة واجبة ، ومرتبة مستحبة .

المرتبة الأولى : وهي المرتبة الواجبة في تحقيق التوحيد بما يأتي:

[أولاً] : أن نُخَلِّصَه من الشرك الأكبر .

[ثانيًا] : أن نُخَلِّصَه من الشرك الأصغر .

[ثالثًا] : أن نُخَلِّصَه من البدع .

[رابعًا] : أن نُخَلِّصَه من المعاصي كبيرها وصغيرها .

وهذه الأمور الأربعة واجبة كلها ، فيجب على كلٍ منا أن يسعى لتحقيق التوحيد بتخليصه من هذه الأربع.

المرتبة الثانية : وهي المستحبة ويُعَبّـِرُ عنها بعض أهل العلم بقولهم : أن تَدَعَ ما لا بأس به خوفًا مما به بأس ؛ يعني أن تدع وتترك ما لا بأس به من الحلال خوفًا مما به بأس من الشبهات و الحرام ، وهذه المرتبة مستحبة ولا يسعى إليها إلا القلة ، كلٌ على حَسْب التوفيق من الله جل وعلا .

وهذ ا الذي ذكرناه في معنى تحقيق التوحيد هو مقتضى الشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله بتخليص التوحيد من الأشياء التي ذكرناها وهى تخليصه من: الشرك الأكبر والأصغر ، والبدع والمعاصي. وتحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون بتصديقه فيما أَخبر ، وبطاعته فيما أمر ، والانتهاء عمَّا عنه نهى وزجر، و أن لا يعبد الله إلا بما شرع صلى الله عليه وسلم .

ثم استدل المؤلف على هذه الترجمة العظيمة بآيتين وحديث .

الآية الأولى من سورة النحل قال الله جل وعلا عن نبيه وخليله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم : **{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** [النحل:١٢٠] وهنا سؤال: هل في ذكره إبراهيم عليه السلام فائدة بالنسبة لنا أتباع محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ؟ الجواب : نعم ، لأنَّ الله جل وعلا قال : **{ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ } [الأنعام :٩٠]**

أولئك : أي : هؤلاء الأنبياء الذين هداهم الله جَلَّ وعلا أمرنا أن نهتدي بهديهم خاصة فيما ليس فيه نسخ ، وأمور التوحيد ليس فيها نسخ ؛ لأن أمور التوحيد من باب الأخبار ، والأخبار لا تنسخ ، **{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً }**وصفَ إبراهيم عليه السلام بعدة أوصاف عظيمة ينبغي علينا أن ننتبه لها لنقتدي بخليل الرحمن فيها ، ولنعرف كيف حاز الخُلة وأحبه الرحمن جل وعلا . الوصف الأول أنه كان أمة .

*وردت كلمة (أمة) في كتاب الله في عدة مواضع في كل موضع لها معنى مستقل:

• وردت بمعنى **الطائفة والجماعة** من ذلك قوله تعالى : { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ } [البقرة :١٣٤] .

• ووردت بمعنى **الزمن والدهر** كما في قوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ } [يوسف :٤٥] يعني تذكر بعد زمن .

• ووردت بمعنى الدين والملة في قول الله جل وعلا : { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ } [الزخرف :٢٢] أي على ملة .

• ووردت بمعنى الإمامة _كالأية التى معنا _ { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } أي كان إمامًا للناس ، وفسَّرها بعض السلف بقولهم : كان معلمًا للناس الخير كما ورد عن ابن عمر وابن مسعود : « كان يعلم الناس الخير » ، فَجُعِل أُمَّة من أجل ذلك ، أو من أجل اجتماع تلك الأوصاف فيه، فإبراهيم عليه السلام كانَ في فترة من الفترات وحده ومع ذلك وصف بأنه أمة ؛ لأنَّه على الحق حتى لو كان وحده ،فأنت أمة إذا كنت على الحق ولو خالفتك الدنيا كلها ، فقد يكون العبد وحده على الحق فيكون وحده أمَّة وإن خالفته الدنيا كلها فلا عِبرَة بكثرة المخالفين . فإبراهيم عليه السلام كان أمَّة يجمع كل هذه المعاني ، كان على الحق وحده وكان يُعَلِّم الناسَ الخير ويدعو الناس إلى الخير والتوحيد فاستحق هذا الثناء من الله جلَّ وعلا عليه ؛ لذلك المؤلف –

رحمه الله تعالى – في نُكَتِهِ [1] على هذه الآية يذكر كلمة جميلة تُثَبِّت طالب العلم وتقويه ، .طالب الهدى في زمن الغربة .فيقول في قوله : { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } ، قال : لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ، أى : لئلا يشعر بالوحشة سالك الطريق .

والذي يمشي في طريق الخير والحق قلةٌ قليلة «**لأنَّ الإسلام بدأَ غريبًا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء** » ([2]) فدائمًا أهل الحق قلة ، فعليهم أن لا يستوحشوا ويقتدوا بنبي الله خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، يقول : لِئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ، وهذه كلمة أخذها المؤلف – رحمه الله تعالى – من كلمة للفضيل بن عياض مشهورة في كتب أهل العلم ، قال الفُضيل بن عياض رحمه الله : { إلزم طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين }.

وكلمة الفُضيل بن عياض مهمة للمسلم الموحد ؛ لأنَّه سيدخل قبره وحده ، ويحاسب وحده ، ويُبعث وحده ويقف أمام رب العالمين وحده ، فلماذا يغتر بالكثرة ويُفتن بالكثرة ويصيبه الكثرة بالشكوك والريب ؟! وهذا الأثر عن الفُضيل ذكره الشاطبي في كتابه « الاعتصام » ([3])وذكره كذلك النووي في كتابه « الأذكار » ([4])، وفي « التبيان في آداب حملة القرآن ». ([5])

ومن فوائد قوله **(أمة)** غير ما سبق : فضل من يُعلم الناس الخير ، وفضل إرشادهم إلى الحق وإلى الخير ، وأن هذه هي مهمة الأنبياء والرسل أنهم يأخذون بأيدى الخلق إلى الحق وإلى طريق الحق جل وعلا ، وحياتهم كلها سُخرت لهذا وقضوا حياتهم في هذا ، فالإنسان الذي يَسَّر الله جل وعلا له هذا الطريق عليه أن لا يمل ولا يحزن ولا يستوحش فهو على طريق نجاة وعلى باب خير ، فهو طريق الأنبياء والمرسلين .

---

[1] انظر تفسير من آيات القران العظيم ١/ ٢٣٧ ، وهو مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب الجزء الخامس .

[2] رواه مسلم برقم (١٤٦) .

[3] الاعتصام للشاطبي: (١/ ١١٢) .

[4] الأذكار للنووي: (ص ١٤٥) .

[5] التبيان للنووي : (ص ١٦٦) طبعة دار ابن حزم .

وقوله { **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ** } ، معنى القنوت: دوام الطاعة ، (قانتًا) أي مقيماً على طاعة الله جل وعلا ، وهنا فائدة جميلة ومهمة أنَّ الداعي إلى الله جل وعلا في خضم الدعوة ، وفي معترك الأحداث ، وفي خِضَمِّ الفتن عليه أن لا يفارق سبيل الطاعة ، وعليه أن لا يفارق المحاريب كما قال السلف ؛ لأن أعباء الحياة قد تشغل الإنسان عن عبادته وعن محرابه وعن صلاته ، وعن قنوته في طاعته ، وعن أذكاره ، وعن ورده من القرآن وغير ذلك . فأثنَّى الله جل وعلا على عبده وخليله إبراهيم عليه السلام بأنه كان دائم الطاعة لاَيمل ولا يَكل ولا يَترك الطاعة ؛ لأنَّ هذه الطاعة والاستمرار على العبادة فضلاً عما فيها من الثواب والإمتثال لأمر الله والقربة ، هي الوقود الذي ينمي إيمانَك ويزداد به إيمانك وسط أمواج الفتن والمغريات ، فإذا تركت هذا الوقود حصل عليك النقص وقد يعتريك الفتور بعد ذلك عن دعوتك نفسها ، فدعوتك لابد لها من إمدادات ومن إمداداتها المهمة دوام الطاعة ، ودوام العبادة ، والاستمرار على العبادة ، فلا تنسَ نصيبك من العبادة هذا نقوله لمن اشغل وقته بالدعوة والعلم ونحو ذلك ، أما من أشغل وقته بأمور الحياة والسعي المتواصل على أمور الدنيا وترك الطاعة وترك دوام الطاعة فهذا على خطر ، فلابد من التوازن لأنَّك لا تدري أين أنت غدًا ، والموت لا يُفَرِّق بين كبير ولا صغير ولا شاب ولا شيخ ، فعلى طالب العلم خاصة وعلى غيره بعامة أن يراجع نفسه ، وينظر إلى طاعته لربه هل هو مفرِّط أو مستقِل أو مستكثر؟ فهذا وصف عظيم أثنى به جل وعلا على عبده وخليله إبراهيم : أنه كان دائم الطاعة مقيماً عليها .

ثم قال: **(قانتًا لله)** : اللام فى قوله **(قانتًا لله)** لام الاختصاص للدلالة على وجوب إفراد الله جل وعلا بكل أعمال العبد ،و كل عبادته وأن يقصد بها وجه الله جل وعلا وحده. لذلك المؤلف في نكته على هذه الآية في التفسير يقول : قانتًا لله لا للملوك والتجَّار المترفين ، ليس قانتاً ومطيعاً للملوك أو السلاطين يَصدع لأمرهم وينتهي عن نهيهم ويدع دينه ، ولا للتجَّار

المترفين الذين يريدون منه أن يُحلل الحرام ويُحرِّم الحلال مقابل ما يعطونه ، يقول الشيخ : كفعل العلماء المفتونين وهم الذين يدورون حيث دار السلطان أو حيث دار التجَّار أو حيث دار الدرهم والدينار ، فيُفْتي الفتوى مقابل الدرهم والدينار ، ويفتي الفتوى مقابل الكرسي أو الرئاسة أو الشهادات، أو الثناء العطر ونحو ذلك .

وما أكثرَهم في هذا الزمان! - لا كثَّرَهُمُ الله - فهذه مسألة مهمة وهي أن الإنسان يكون قنوته لله جل وعلا ، ودعوتُه لله جل وعلا ، وتعليمُه لله جل وعلا ، ليس من أجل فلان أو من أجل منصب .

قوله (حنيفًا) والحنيف مأخوذ من الحَنَفِ ، وأهل اللغة كلامهم يدور على أنَّ الحنف أو الحنيف مأخوذ من الميل فإمَّا أن تقول : هو مائل عن الشرك إلى التوحيد ، أو إمَّا أن تقول : الحنيف هو المائل إلى التوحيد . وبعضهم يقول : الحنيف هو المستقيم الثابت على الحق ، ويقولون : بأن الحنف مأخوذ من حنف القدمين إذا كان كلٌ من الإبهامين يميل أحدهما إلى الآخر ، وفلان فيه حنف ، أي الميل الذي يكون في الأرجل يجعل الإبهام يتجه إلى جهة الإبهام الآخر .

قال الأزهري في « تهذيب اللغة »: تحنَّف فلانٌ الشيء تحنفًا إذا مال إليه .

وقال الليث : الحنيف المسلم الذي يستقبل البيت الحرام على ملة إبراهيم وهو حنيف .

وجاء في « لسان العرب » : الحنف في القدمين إقبال كل واحدة منهما على الأخرى بإبهامها ، ورَجلٌ أحنف وامرأة حنفاء ، وقد قيل أن الحنف الاستقامة وإنما قيل للمائل الرِجل أحنف تفاؤلاً بالاستقامة ، كما قيل للشخص الملدوغ الذي لدغته عقرب أو حية ونحو ذلك سليم . وقيل عن الصحراء مفازة ، يعني أنك تجوزها بسرعة من باب التفاؤل .

وقال ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث والأثر »: الحنفاء جمع حنيف وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم وأصل الحنف الميل .

المقصود هنا أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفًا يعني مستقيمًا على التوحيد ، أو مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ثابتًا عليه.

يقول المؤلف – رحمه الله تعالى – في النكات على هذه الكلمة (حنيفًا) : لا يميل يمينًا ولا شمالاً كحال العلماء المفتونين ، هذه تكملة للكلمة الأولى ، قانتًا لله ليس للملوك ولا للتجار المترفين حنيفًا لا يميل يمينًا ولا شمالاً كحال العلماء المفتونين .

ثم قال تعالى : { **وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } كلمة : الْمُشْرِكِينَ ، الألف واللام موصولة ومشرك اسم فاعل من أشرك ، أشركَ يُشرك فهو مشرك فالمشركون جمع مذكر سالم إذا دخلت [ال] الموصولة على اسم الفاعل أفادت العموم ، معناه : أنَّ إبراهيم عليه السلام لم يدخل في أي نوع من أنواع الشرك بكل صوره وأنواعه ، ولم يكن من المشركين بل جانبهم ، ولم يكن معهم في اعتقاداتهم ولا في أفعالهم ، ولا في عباداتهم ، فنفى عن إبراهيم عليه السلام أن يكون مع المشركين كليةً.

يقول ابن القيم رحمه الله فى مفتاح دار السعادة ([1]) : الحنيف الْمُقْبِلُ على الله الْمُعْرِض عن كلِ ما سواهُ . وهذه الكلمة لها فائدة مهمة : المعرضِ عن كل ما سواه يدخل فيه الإعراض حتى عن نزغات الهوى التي تصرف الإنسان عن أمر الله جَلَّ وعلا .

وأهل العلم يذكرون قاعدة هى : (أن كل معصية فيها نوع تشريك) فأي معصية إنما صدرت عن هوى ، أوعن نزغة من نزغات الشيطان ونحو ذلك ، فهذه فيها نوع تشريك وإن كانت لا تدخل معنا في الحكم في قضية الشرك الأكبر والأصغر ونحو ذلك لكنَّها تسمى بالمعصية فيقولون هذا من أجل أنه ما فعل المعصية إلا اتباعاً للهوى أو إتباعًا للشيطان أو نحو ذلك. لكن ننبه على أنَّه لا ينبغي أن يُفهمَ منها التكفير بالمعصية التي ليست كفرًا كما يقول الخوارج ومن تابعهم في عصرنا من جماعات التكفير ومشى على دربهم .

---

[1]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم : (١/١٧١) .

الدليل الثاني قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ } [المؤمنون :٥٩] وهذه من (سورة المؤمنون) حيث قال جل وعلا قال الله جل وعلا : { إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) } فأثْنى جَلَّ وعلا على المؤمنين السابقين بما أتوا به من الإيمان والخوف من الله تعالى ، وعظيم ما وَحَّدُوا به الرب جل وعلا ، وأنهم اجتنبوا الشرك (وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) ، والفعل المضارع هنا دخل عليه [لا] النافية وهى تفيد هنا العموم ، أي لا يشركون بربهم بأي نوع من أنواع الشرك قلَّ أو كثر ، فهذا وصف عظيم وثناء جليل على عِباد الله المؤمنين ،ومن فوائده أن العبد عليه أن يراجع دائمًا توحيده ، ويراجع إخلاصه ، فربنا جل وعلا قال : { وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } ونظرًا لخطورة الشرك ولدخول الشرك على الأعمال من حيث لا يشعر الإنسان ، قال : { وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ } ، فالعبد يأتي بالطاعة ويعمل الصالحات ويشفق على نفسه من أن لا تقبل منه ثم يخاف أن يقع فيها الشركُ قَلَّ أو كثرَ وهذه مسألة مهمة قد يغفل عنها الكثير من طلاب العلم فضلاً عن غيرهم .

قال : **{ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ }** فتقديم لفظ الرب هنا يُفيدُ الاختصاص وأهمية ذلك الأمر؛ وهو أنهم لا يشركون بربهم شيئًا جل وعلا ، وَذَكر الربوبية ولم يذكر الألوهية ؛ لأنَّ الربوبية تستلزم الألوهية أو العبودية ، وقد تأتي بمعناها في بعض المواضع لأنهما إذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا كالإسلام والايمان والبر والتقوي . الخ فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الأُلهية أي يستلزم توحيد العبادة.

فوجه المناسبة في الإتيان بهاتين الآيتين أنَّ المسلم يقتدي بخليل الرحمن وإمام الحنفاء إبراهيم.عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام.في الصفات التي ذُكرت في الآية وهذه الصفات هي التي حاز بها الخليل الإمامة ، وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : بالصبر واليقين

تُنال الإمامة في الدين ([1])وكذلك ذكر صفة المؤمنين في (سورةالمؤمنون) : **{ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ }** وأنَّ هذا ثناء على عباده المؤمنين الذين حققوا هذه الأوصاف المذكورة في تلك الآيات : **{ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ }** وقبل ذلك قال: { إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) } فأثنى عليهم بأنهم جمعوا بين الخوف والعمل ؛ الإشفاق أن لا يقبل العمل ومع ذلك أتوا بالعمل بخلاف أهل النفاق ، فإنَّ المنافق يجمع بين ترك العمل والأمن على نفسه، فلا يخاف؛ أما المؤمن فيجمع بين العمل والخوف من أن لا يُقبل ذلك العمل ، يعني يجمع بين الشفقة والخشية وأيضًا يأتي بالعمل ويخشى أن لا يقبل .

الدليل الثالث :

قوله رحمه الله تعالى : **(عن حُصَين بن عبد الرحمن)**:

وهو السُلمي [أبو الهذيل] الكوفي المتوفى في سنة ستٍ وثلاثين ومائة ،(**قال : كنتُ عند سعيد بن جبير)** هو الإمام التابعي الكبير الذي قُتل على يد الحجاج في سنة خمسٍ وتسعين من الهجرة ، وقصتُه معروفة في « السير » ([2]) وفيها فوائد كثيرة ، فكان سعيد بن جبير أحد أئمة التابعين وكان جالسًا مع بعض تلامذته منهم حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي ، (**فقال سعيد بن جبير : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟)** انقض : أي سقط .

البارحة : تطلق على أقرب ليلة مضت ، قال ثعلب وهو من أئمة اللغة : يقال قبل الزوال : رأيت الليلة وبعد الزوال رأيت البارحة . وهي مشتقة من بَرِحَ إذا زال ، يعني بعد الزوال أي زوال الشمس ويكون بعد الظهر ، فسعيد بن جبير يسأل أصحابه عن نجم أو شهاب سقط في البارحة .

---

[1]) انظر كتاب الإستقامة (٤٠/١) تحقيق محمد رشاد سالم . طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة.

[2]) انظر سير أعلام النبلاء (٥ / ١٨٧ ـ ١٩٨) .

وهذه النجوم كما **قَالَ قَتَادَةُ: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك: ٥] خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ**) ([1]) أي من ادعى أن هذه النجوم وهذه الكواكب التي في السماء لها تأثير على الأحداث الأرضية ، فقد ضيع حظه ونصيبه .

ويوجد الآنَّ من يَدخلون في علم التنجيم بهذا الغرض فيقولون : أنت مولود في أي برج من الأبراج ؟ ثم يحسبون حسابات بالأرقام ، كتاريخ الولادة والسن وغير ذلك إلى آخره ويَضرِبُون ويَقسِمُون ثم يقول أخيرا ستكون سعيدًا أو شقيًا ، إلى آخره .

فهذا من الضلالة والعياذ بالله وسيأتى الكلام فيه مفصلاً إن شاء الله تعالى.

(قال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة ؟ فقلت أنا – القائل هو حصين بن عبد الرحمن – **قال : ثم قلت** : يعني حصينا يستدرك ويكمل كلامه . **(أما أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت)** هذه الكلمة قالها حُصين خوفًا على نفسه من الرياء والسمعة لأن الذي يكون مستيقظًا في هذا الوقت المتأخر من الليل إما يكون مستيقَظًا لصلاة يصلي ، أو يكون أصابه شيء أقلقه كمرض أو ألم أو إزعاج أو نحو ذلك ، فحصين بن عبد الرحمن خشي أن يُمدح بما ليس فيه ،وانظر إلى حرص السلف على أن لا يُثنى عليهم بما ليس فيهم قال : **(أما إني لم أكن في صلاة**) حتى لا يتصور أحد أن حصيناً كان يصلي طوال الليل وأثناء صلاته في هذا الوقت رأى هذا الكوكب أو هذا النجم الذي سقط ، فخشي على نفسه من الرياء أو التسميع ، لأن الرياء تابع للرؤية وهو أن تُرِي مَنْ أمامك ، أما التسميع فهو أن تُسْمِع فتقول : صنعت كذا وصنعت كذا ، والذي يسمعك لم يركَ ولكنَّه يسمع فقط فخشي على نفسه من التسميع ، وخشي على نفسه أيضًا أن يُمدح بما ليس فيه وبما لم يفعله ، ونحن نستفيد من هذا أمرين :

---

[1]) ذكره البخاري معلقا في كتاب (بدء الخلق) باب في النجوم .

الأمر الأول : أنَّ الإنسان دائمًا يَحذر من التسميع والرياء ويَعلم أن الرياء والتسميع محبط للعمل لقوله في الحديث: « **من سمع سمعَ الله به ، ومن يرائي يرائي الله به** » (١)إذاً هذه آفة كبيرة تَدخل كثيرا على العُبَّاد وعلى أهل الخير والصلاح وهي أن يحب أن يُسمِّع بما فعل ، فيعمل العمل ويُتعب نفسه ثم يُظهره للناس فيَحبط عمله.أما إذا اطَّلع عليه الناس بدون قصد منه ، وهو عمل من أعمال الخير فلا بأس في ثنائهم ومدحهم لأنه لم يطلب ذلك أو يتسبب فيه ، أما كونه يحرص على مدح الناس له فهذا فيه خطورة كبيرة على عمل المسلم ، فينبغي على المسلم أن يراقب نفسه ، ويراقب أعماله، ويراقب نيته ، ويخشى على نفسه من التسميع ومن الرياء فإنَّ هذين من أخطر الأمراض على العبد .

الأمر الثاني : وهو أن يحرص على أن لا يُمْدَح بما لم يفعل ، وبما ليس فيه ؛ لأن الذي يُمدح ويحب أن يمدحه الناس بما ليس فيه (**كلابس ثوبي** زور) (٢) كما ورد الحديث بذلك .

قوله (**ولكني لدغت**) يعني لدغته ذوات السموم : عقرب أو غير ذلك .

فسأله سعيد بن جبير **فما صنعت ؟ قال : قلت : ارتقيت** ، وفي رواية مسلم زيادة : **(استرقيت**) وهذه الرواية سنتكلم عليها بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

والرقية هى : أقوال وتعاويذ يقرأها الإنسان على نفسه إذا كان مريضًا أو أصابه لدغ أو مرض عضوي أو غير عضوي ، فالرقية تنفع من الجميع والدليل على أنها تنفع من الجميع حتى الأمراض العضوية ومن ذلك لدغ ذوات السموم (في قصة الصحابة الذين أتوا إلى قرية أو قوم وطلبوا منهم أن يضيفوهم فرفضوا فلُدِغَ سيد هؤلاء القوم فسألوا هؤلاء الصحابة أن يأتي أحدٌ منهم ليرقي سيدهم فأتى أحد الصحابة و هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فرقى هذا المريض أو اللديغ وقرأ عليه سورة الفاتحة فشُفي بإذن الله سبحانه وتعالى ، فقال له النبي صلى

---

١) رواه البخاري برقم (٦٤٩٩) ، ومسلم برقم (٤٧) - {٢٩٨٦} .
٢) رواه البخاري برقم (٥٢١٩) ، ومسلم برقم (١٢٦) - {٢١٢٩} .

الله عليه وسلم بعد ذلك : وما أدراك أنها رُقية ؟ يعني أن الفاتحة رقية . وأعطوهم جُعلاً من الغنم ، ورجعوا به إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم ينكر عليهم ما صنعوا وقال : «**إنَّ أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله** »([1]) فالقصد أن حُصينا إما أن يكون رقى نفسه أو طلب الرقية من غيره .

قال له سعيد بن جبير فما حملك على ذلك ؟ يؤخذ من هذه العبارة فائدة وهي أنَّ الإنسان يطلب الدليل والبرهان . فإذا وَجَدَ غيره أتى بفعل وهذا الفعل مُشكِل عليه أو يرى خلافه أو غير ذلك فإنه يطلب البرهان ولا يسارع بالهجوم عليه ، والنقض ! بل يتحلى بأدب الخلاف ومن ذلك أن يطلب الدليل ، فربما يكون الذي فعل هذا لديه دليل أو برهان ، فإنه عندئذٍ يعذر ويُبين له ، أما إنْ كان يفعل هذا لهوىً أو تقليد أو تعصب فهذا هو الممقوت والمذموم الذي ينبغي أن يُدل على الصواب بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة .

لذلك أهل العلم يُفرِّقون بين الإنكار في مسائل الاجتهاد والإنكار في مسائل الخلاف :

أولا: الإنكار في مسائل الخلاف : مسائل الخلاف يكون فيها جانب ضعيف وجانب قوي يعني يوجد قول قوي له أدلة كثيرة وهو راجح ، وقول آخر ضعيف مرجوح ، فهذا يُنْكَرُ على المخالف فيه ، ويُبَيَنُ له أن هذا خلاف الحق وخلاف الصواب . مثل مسألة الحجاب ، فوجوب الحجاب أدلته كثيرة من الكتاب والسنة وهي موجودة بكثرة في كلام الأئمة في كتب المذاهب الأربعة وغيرها ، فالقول بوجوبه على المرأة المسلمة وأنَّه يجب عليها أن تغطي كل بدنها . كما قال الإمام مالك و غيره هي عورة من رأسها إلى ظفرها وذلك لأدلة كثيرة منها حديث الترمذي : المرأة عورة ([2])، والقول بوجوبه هو الراجح وهو الظاهر . والقول الثاني بعدم الوجوب قولٌ ضعيف مرجوح ، وأدلته ليست صريحة أوهي ضعيفة بخلاف أدلة القول

---

[1]) رواه البخاري برقم (٥٧٣٧) ، ومسلم برقم (٦٥) - {٢٢٠١} .
[2]) رواه الترمذي برقم (١١٧٣) .

الأول ، فمثل هذا يُنكَر على المخالف فيه لظهور الدليل ووضوحه ، وعندما نقول ينكر أي ينكر بالشروط المعتبرة شرعًا ، فإنْ أمر بالمعروف فليكن أمره بالمعروفِ بالمعروف ، وإن نهى عن المنكر فلا يكون نهيه منكراً ، هذا بالنسبة للإنكار في مسائل الخلاف .

ثانياً الإنكار فى مسائل الاجتهاد وهي التي ليس فيها نص وإنما هي اجتهاد من العلماء في تنزيل حكم معين على نازلة أو أمرٍ حادث ، هذه التي قال فيها العلماء : لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، وبعض طلاب العلم لا يفهم الفرق بين مسائل الاجتهاد ومسائل الخلاف ، ومسائل الخلاف التي ورد فيها نصوص لكنْ أهل العلم تجاذبوها فمنهم من لم يصله النص ومنهم من ضعف الحديث أو صحح الحديث إلى آخره ، لكن مسائل الاجتهاد هي المسائل التي ليس فيها نص فتجاذبتها أقوال الأئمة فهذه التي قالوا فيها : لا إنكار في مسائل الاجتهاد وممن تكلم على هذه المسألة ابن مفلح في كتابه « الآداب الشرعية » ، والنووي رحمهما الله تعالى .

(قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت): القائل هو حصين بن عبد الرحمن : **حديث حدثناه الشعبي** ، والشعبي هو الإمام المشهور عامر بن شراحيل الشعبي التابعي المتَوفى في سنة ثلاثٍ بعد المائة من الهجرة ، قال : **حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب** ، وبُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب هو الأسلمي صحابي مشهور تُوفي في سنة ثلاثٍ وستين من الهجرة .

(أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حُمَة) يعني عين حاسد أو عين العائن وهذا فيه إثبات العين وأنَّ الإنسان قد يحسد غيره فيُؤذي غيره بعينه ، والعياذ بالله ، لذلك الإنسان إذا رأى شيئًا يسره يُبرِّك ويقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله أو بارك الله لك، ، فهذا التبريك منك يدفع شر العين بإذن الله سبحانه وتعالى ، والعكس الإنسان الذى يرى الأشياء ولا يبرك قد يُصَابُ إخوانه بشرر وضرر عظيم قد لا يتصوره الإنسان كما جاء فى الحديث « **أن العين تدخل الجمل**

القدر والرجل القبر » (١) بمعنى أن العين قد تتسبب في قتل إنسان ، وقد تتسبب في إدخال الجمل القدر فيذبح ويأكل وقد يتسبب في موته.

إذًا الإنسان يُبَرِّك لأخيه ويدعو له بالبركة ، وإن لم يبرك لأخيه وأصابته العين فإنَّ المحسود له أن يطلب من العائن أن يغتسل ويأخذ فضل هذا الماء ، أو يجعله يتوضأ ويأخذ ما بقي وما نزل من أطرافه ويصبه على ظهر الإنسان المحسود وإن رفض الوضوء ، أو رفض أن يأتي بالماء ، فلك عدة طرق : إما أن تقول اشرب هذه الكأس من الماء مثلاً أو غير الماء ويُبقى فيها فضلة ؛ هذه الفضلة فيها نَفَس هذا العائن لأنه شرب منها فلاقت جسمه وجسده فتعلق بهذه الفضلة شيئًا من هذا العائن فهذه الفضلة تأخذها وتضع عليها ماء آخر ثم تصبها على هذا المعيون أو المصاب ، أو تأخذ شيئًا مما لاقى جسمه كمنديل أو شيء من ثيابه وتضعه في شيء من الماء أو ترش عليه شيئاً من الماء وتأخذ هذا الماء وتضعه على الإنسان المصاب ، وإن كان كل هذا غير مستطاع فينتقل إلى الرقية ، فترقي هذا المعيون أو المصاب ، وأسهل من كل هذا أنك إذا رأيت على أخيك خيرًا أن تدعو له بالبركة وتقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، (وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف ينزل إلى الماء فقال : ما رأينا اليوم جلد عذراء كاليوم ،مما رأى من جمال هذا الصحابي فسقط سهل مباشرة على الأرض فقال صلى الله عليه وسلم : « **لم يقتل أحدكم أخاه ، هلا بركت؟** » (٢) يعني هلا قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، تبارك الله ، بارك الله لك ، ونحو ذلك) .

فالقصد أن العين ثابتة في كتاب الله قال تعالى { وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [الفلق :٥] ، وأيضًا ثابتة بالسنة كما سبق فعلى المسلم أن يتقى الله في إخوانه المسلمين ، ويأخذ هذا المنهج على نفسه إذا وجد شيئًا يسره يُبرِّك على أخيه ، فيحصل له الخير ولأخيه كذلك ؛ لأن المسلم لا

---

١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧ / ٩٠) ط دار السعادة ، وابن عدي في الكامل (٦ / ٣١٦) ط الكتب العلمية

٢) رواه ابن ماجة برقم (٣٥٠٩) ، وأحمد في المسند (١٥٩٨٠) .) رواه ابن ماجة برقم (٣٥٠٩) ، وأحمد في المسند برقم (١٥٩٨٠) .

يحب أن يقع أخوه فى المرض و قد يعرض نفسه على الأطباء فلا يجدون له علاجاً والعلاج عند العائن .

قوله (**لا رقية إلا من عين أو حُمَة**) حُمَة بتخفيف الميم وليست بالتشديد ،الحُمَة غير الحُمَّى ، فالحُمَّى هي الحرارة التي تأتي في الجسم وهى معلومة ، أما الحُمَة فهي لدغة ذوات السموم كالعقرب وغيرها . **فقوله : (لا رقية إلا من عين أو حُمَة)** قال أهل العلم : معناها لا رقية أولى وأشفى من الرقية من العين والحُمَة ، يعني معناها أن الرقية من العين والحُمَة تدخل دخولاً أوليًا فيما يرقى فيه ، هذا قول .

وقد يقال : إنَّ هذا كان في أول الأمر ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « **اعرضوا عليَّ رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**» (١) .

والرقية لابد لها من ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن تكون من القرآن أو من السنة.

الشرط الثاني : أن تكون بالكلام العربي المفهوم ، وهناك خلاف بين أهل العلم إذا كانت الرقية بكلام غير عربي وهو مفهوم هل تجوز أم لا ؟ على خلاف لأهل العلم .

الشرط الثالث : أنْ لا يعتقد الراقي عند الرقية أنها تنفع بنفسها بل لا تنفع إلا بإذن الله سبحانه وتعالى .

وسيأتي الكلام عن ذلك تفصيلاً في باب الرقية إن شاء الله سبحانه وتعالى .

وحديث بُرَّيْدة بن الحُصَيْب ورد هنا صورته صورة الموقوف يعني لم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا رواه مسلم عن بُرَّيْدة موقوفًا ، وقد رواه الإمام أحمد مرفوعًا يعني من كلام النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ، وقد ورد الحديث نفسه من حديث عمران بن حصين أيضًا عند الإمام أحمد والترمذي وأبي داود .

---

١) رواه مسلم برقم (٦٤) - {٢٢٠٠} .

قال : « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع » هذا من أدب سعيد بن جبير ، عندما عَرف أن صاحبه عنده دليل وعنده بيان ، ولم يفعل ذلك من عند نفسه ، فهذا يدل على أدب السلف وعظم فقههم في التعامل مع الآخرين خاصة الذي عنده دليل أو برهان على ما يفعل أو ما يقول ؛ بخلاف من يفعل برأيه ، أو يتعصب ، أو يُقَلد بلا دليل ولا برهان .

قوله : (ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : عُرِضت علي الأمم) هذا العرض اختلف فيه أهل العلم متى كان وأين كان ؟ فمنهم من يقول : هذا العرض في المنام ، وبعض العلماء ممن يقول : بأنَّ الإسراء تعدد أو تكرر أكثر من مرة يقول: بأنه يُحتمل أن يكون في ليلة الإسراء، و فيه بُعْد لأنَّ حادثة الإسراء والمعراج الراجح أنها لم تتكرر ، فالظاهر أنه عُرِض عليه الأمم صلى الله عليه وسلم في منامه.

قال صلى الله عليه وسلم : (**عُرضت علي الأمم فرأيتُ النبي ومعه الرهط**) الرهط هم الجماعة من ثلاثة إلى تسعة ،(**والنبي ومعه الرجل والرجلان)** : [الواو] هنا في قوله والرجلان للشك ، يعني معه الرجل أو معه الرجلان ، (**والنبي وليس معه أحد**)، هنا تدرج في العدد ، رأى النبيَّ ومعه الرهط من ثلاثة إلى تسعة ، ثم مازال ينقص إلى الاثنين والواحد ثمَّ والنبي وليس معه أحد ، أي أن نبياً عاش في قومه سنين عدداً ولم يؤمن به أحد وقد يكون معه المعجزات والآيات ولم يؤمن به أحد ؟! يستفاد من هذا أنَّ الداعي إلى الله جل وعلا لا ييأس ولا يستوحش من قلة أهل الحق ، ولا من قلة السالكين كما سيذكر المؤلف في فوائده ؛ فإنَّ الحق لا يعرف بالكثرة ، والحق لا يعرف بالرجال قال تعالى {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} [الأنعام : ١١٦] ، وقال تعالى {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } [سبأ : ١٣] فهذا فيه تسلية أولاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، أنه سيأتي يوم القيامة النبي وليس معه أحد ، وهذا لا يطعن في إخلاص النبي ودعوته ، وكذلك الداعي إلى الله جل وعلا إذا كان على الحق وعلى منهج أهل السنة والجماعة فإنَّه لا يضره قلة من اتبعه واستجاب له .

قوله :(إذ رفع لي سواد عظيم) : رأى صلى الله عليه وسلم جماعةً كبيرةً من الناس وظن أنهم أمته صلى الله عليه وسلم ، قوله **(فقيل لي : هذا موسى وقومه) ، وفى صحيح مسلم (ولكن انظر إلى الأفق)** [1] هذه العبارة ساقطة هنا في المتن وهي موجودة في صحيح مسلم (**ولكن انظر إلى الأفق)** -الأفق البعيد – **(فنظرت فإذا سوادٌ عظيم)** ، يعني سواداً أعظمَ من الأول (**فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**)، إذاً هذه الأمة المباركة هي أكثر الأمم دخولاً الجنة يوم القيامة ، وأكرمهم الله جل وعلا بأن جعل معهم سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، وجاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل ألفٍ سبعين ألفًا** » ([2]) فاستزدت ربي أي طلب الزيادة من ربه جل وعلا أن يزيدهم فزادهم مع كل ألف سبعين ألفا ، وهذا مروي في المسند بإسناد جيد.

قوله (**ثم نهض فدخل منزله صلى الله عليه وسلم فخاض الناس في أولئك**) أي :أن الصحابة أخذوا يتساءلون : مَنْ هؤلاء الذين يدخلون الجنة مِن غير حساب ولا عذاب ؟ وهذا يدل على حرص الصحابة على هذا الخير ومسارعتهم إليه ، **فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، وهذا فيه رد على الروافض الذين يسبون الصحابة ويكفرونهم .

(وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا وذكروا أشياء)، وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم عرفوا مسألة مهمة جدًا أنَّ هؤلاء السبعين ألفاً لن يدخلوا الجنة بدون عمل وإنما لهم أعمال عظيمة وهذا يدل على أهمية العمل.

---

[1]) رواه مسلم برقم (٣٧٤) - {٢٢٠} .
[2]) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢) .

قوله(**فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فأخبروه**) فأراحهم صلى الله عليه وسلم وأجابهم بالجواب الذي فيه الشفاء **(فقال : هم الذين لا يسترقون)**، يعني لا يطلبون الرقية من غيرهم ، و في صحيح مسلم رواية : « لا يرقون » وعدد من المحققين يقولون : رواية « لا يرقون » رواية شاذة لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رقى ورُقي ، رقاه جبريل عليه السلام (١) .

ورقته عائشة رضي الله عنها (٢) وممن قال بهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – ، « **ولا يكتوون** » لا يطلبون من أحدٍ أن يكويهم ، والكي جاء فيه أحاديث كثيرة منها ما في صحيح البخاري : « **الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي** » (٣)، وفي لفظٍ : « **وما أحب أنْ أكتوي** » (٤)

ولكن الكي في أصله جائز ، ومن العلماء من يقول بكراهته لقوله : وما أحب أن أكتوي، وقد اكتوى أنس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري (٥)، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم إلى أُبي بن كعب طبيبًا فقطع له عرقًا وكواه كما في صحيح مسلم (٦)، وقيل بالكراهة لما فيه من إحراقٍ و تعذيبٍ وألمٍ ، وبعض أهل العلم يقول : إنما كره الكي لأن النفوس كانت معلقة به فكانوا يعتقدون أنه من اكتوى لابد أن يحصل له الشفاء ؛ لذلك جاء النهي عن الكي.

قوله : « **ولا يكتوون ولا يتطيرون** » ، التطير مأخوذ من الطيرة ، والطيرة أو التطير هو التشاؤم بمسموع أو بمرئي ،أو بمكان أو بزمان ؛ فقولنا بمسموع أي بشيء تسمعه ، أو بمرئي أي بشيء تراه فقد ترى شخصاً تقول له: والله اليوم وجهك نحس، لن أذهب إلى عملي

---

١) جاء في مسند أحمد برقم (٢٥٢٧٢) .
٢) جاء في صحيح مسلم برقم (٥٠) - {٢١٩٢} .
٣) رواه البخاري برقم (٥٦٨١) .
٤) رواه البخاري برقم (٥٦٨٣) .
٥) رواه البخاري برقم (٥٧٢٠)
٦) رواه مسلم برقم (٧٣) - {٢٢٠٧} .

أو تجارتى فهذا تشاؤم محرم ، والتشاؤم كله منهي عنه ، وقد جاء في الحديث : « **الطيرة شرك** » ([1]) وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل في بابه -إن شاء الله تعالى.

قوله : (**لا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**) هؤلاء السبعون ألفاً هذه صفاتهم : وهي ترك طلب الرقية من الآخرين ، وترك الاكتواء وترك التطير . والذي يجمع كل هذه الخصال هو التوكل ، فهو الأصل الجامع الذي تَفَرَّعت عنه جميع هذه الخصال ، حيث تركوا هذا كلَه بصدق لجوئهم إلى الله جل وعلا ، وصدق توكلهم عليه سبحانه وتعالى واعتماد القلب عليه جل وعلا.

قوله (**فقام عكَّاشة بن محصن** وهو أحد الصحابة **رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال : أنت منهم**) وهذا فيه علم من أعلام النبوة حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الصحابي سيكون من السبعين ألفًا ، وهذا الصحابي قُتِل رضي الله عنه في حروب الردة مع خالد بن الوليد- رضى الله عنهما .

قوله (**ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال : سبقك بها عكَّاشة**) وهذا فيه حسن أدب النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يواجه هذا السائل بقوله أنت لست منهم ، وأيضاً حتى يقطع الدَّور فيطلب كل صحابى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هذه العبارة اللطيفة : **سبقك بها عكَّاشة** حتى صارت مثلاً يضرب .

مسألةٌ (١) : قول عُكَّاشة : **يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم** ، يَرِدُ عليه سؤال لطيف وهو : هل يُشرع للشخص أنْ يسأل غيره الدعاء له ، أو لذويه أم لا ؟ وهل هذا يدخل فى باب الطلب المذموم والذى تركه أولى، كأن تقول لشخص يا فلان أدع الله لي ؟

الجواب : أن الحديث الذي معنا لا يدل على ذلك ، لأنَّه طلبَ ذلكَ من النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وليس هناك أحد من الأمة مثل النبي صلى الله عليه وعلى آله

---

[1]) رواه أبو داود برقم (٣٩١٠) ، وأحمد في المسند برقم (٣٦٨٧٠) .

وصحبه وسلم لا في إجابة دعائه ولا في الطلب منه ، فلا إشكال في الطلب من الأنبياء لأنَّ الأمم تطلب من أنبيائها وتطلب كل أمة من نبيها أن يدعُوَ الله عز وجل لها أو لأفرادها ، فإنَّ هذا لا يكون من السؤال الذي تركه أولى لكنْ الخلاف في غير الأنبياء هل هذا يكون من السؤال الذي جاء الحديث بأن هؤلاء السبعين ألفاً لا يطلبون من غيرهم الرقية اكتفاءً بتوكلهم واعتمادهم علي الله جل وعلا وصدق لجوئهم إليه ؟

فأهل العلم فى هذه المسألة على قولين :

القول الأول : يقول بالجواز وأنَّه لا بأس أن يطلب الإنسان من أهل الصلاح وأهل الخير أن يدعو له بأي شيء بالشفاء أو بغير ذلك ، واستدلوا على ذلك بأدلة منها ما هو صريح لكنَّه ضعيف كحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه : « لا تنسنا يا أُخي من صالح دعائك » لكنه حديث فيه ضعف ([1]) ولو صَحَّ لكان فيه حجة قوية لهذا القول ، والحديث الآخر الصحيح : أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر أنه إذا التقى أويسا القرني يطلب من أُوَيْس أن يستغفر له إذا لَقِيَه) ([2]) فهذه أدلة القول الأول الذي يقول بجواز سؤال الآخرين الدعاء .

القول الثاني : وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – وعدد من المحققين، ومن مشايخنا الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – يرى أنَّه لا يُشرع طلب الدعاء من الآخرين إلا في حالة واحدة إذا كان هذا السائل يَقْصُد بذلك نفع الداعي ، يعني عندما تقول: يا فلان ادع الله لي بالشفاء ، فهو إذا دعا الله جل وعلا قالت الملائكة : ولك مثله ، فينتفع الداعي هنا بدعائه لأخيه بظهر الغيب لأنَّ الملائكة تؤمن على دعائه وتدعوا له ، فالسائل هنا لم يقصد في المقام الأول نفع نفسه وإنما قصد نفع الداعي ، وعلى هذا فقد تَغيَّرَت صورة المسألة فبدلاً من

---

[1]) انظر ضعيف الجامع الصغير (برقم ٦٢٧٨) .

[2]) رواه مسلم برقم (٢٢٣) - {٢٥٤٢} .

أن تكون على صورة سؤال أصبح الطالب مُوْصِلا النفع لغيره وهذا مشروع بلا شك ،لأن فيه إيصالاً لنفع للآخرين.

مسألة (٢) : وهي مسألة التداوي ؛ ما حكم التداوي يعني العلاج ؟

أهل العلم اختلفوا في مسألة التداوي على أقوال :

القول الأول : قول الإمام مالك رحمه الله : أن التداوي مباح يستوي فعله وتركه .

القول الثانى : قول الإمام أحمد رحمه الله : أنه مباح وتركه أفضل . يعني اكتفاءً بالاعتماد على الله جل وعلا واحتساباً للأجر ورفعة الدرجات، وهذا يقال لمن وجد عنده القدرة على الصبر على الداء ، وأنْ لا يظهر عليه الجزع والهلع ، سواء باللسان والشكاية أم بالأفعال أم في القلب ، فهذا خطره أعظم من ترك التداوي أمَّا إذا كان يستطيع الصبر وحبس النفس عن التشكي ، فهذا الذي يقال له إن التداوي مباح وتركه أفضل .

القول الثالث : قول الشافعية : أن التداويَ مستحب ، لورود الأمر به فى قوله صلى الله عليه وسلم **((عباد الله تداوَوا)** .([1])

القول الأخير : قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله : أن التداوي يقارب الوجوب يعني يكاد يكون واجبًا .

وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول : إنَّه ليس بواجب عند جماهير العلماء – راجع مجموع الفتاوى في هذه المسألة [٢٤/ص ٢٦٩] – وعلى كل حال الأمر بحسب حال الشخص .

. وذُكر عن أبي بكر الصديق لمَّا قيل له : هل نستدعي لك الطبيب ؟ قال : الطبيب رآنى فقالوا ماذا قال لك:قال: إنى أفعل ما أشاء .([2])

---

[1]) رواه الترمذي برقم (٢٠٣٨) .

[2]) في تاريخ الطبري (٣ / ٤١٩) ط دار التراث بيروت ، ونظر أسد الغابة (٣ / ٣٢٤) ، ومجموع الفتاوى (٢١ / ٥٦٤) .

يقصد أنه ابتلي بالداء والمرض من عند الله سبحانه وتعالى ، لحديث : « إن الله هو الطبيب » ذكره الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » ، يعني بيده الشفاء سبحانه وتعالى . أما الأطباء الذين في الدنيا فهم يعالجون فقط بتقديم الأسباب لكنْ لا يملك أحدٌ منهم الشفاء وإنما الله جل وعلا هو الشافي ،ففي الحديث «**أذهب الباس رب الناس اشف وأنت الشافي لا شافي إلا أنت ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا**» (١).

شرح المسائل :

قال المؤلف **فيه مسائل :**

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

حيث إنَّ هؤلاء السبعين ألفًا يدخلون الجنة بهذه الصفة لأنَّهم مُيِّزُوا على غيرهم بهذه الأمور : فلا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون . و هناك من المؤمنين من هم دون هذه المرتبة العظيمة.

الثانية : ما معنى تحقيق التوحيد ؟

هو تخليصه من الشرك الأصغر والأكبر ومن البدع ومن الكبائر والمعاصي عمومًا .

الثالثة : ثناؤه سبحانه وتعالى على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين .

وهذه واضحة في الآية .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

تؤخذ من قوله تعالى : { وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ } [المؤمنون:٥٩] فأثنى على سادات المؤمنين بأنهم لا يشركون بالله جل وعلا.

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

---

١) رواه البخاري برقم (٥٦٧٥) ، ومسلم برقم (٤٦) - {٢١٩١} .

وهذا واضح في الحديث : « **الذين لا يسترقون ولا يكتوون...** » إلى آخر الحديث .

السادسة : **كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .**

كما في قوله : **(وعلى ربهم يتوكلون)** .

السابعة : **عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لن ينالوا ذلك إلا بعمل .**

حيث بدأ الصحابة يذكرون أصنافًا من الناس عملوا أعمالاً فذكروا الصحبة وذكروا الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله ، وغير ذلك فذكروا أعمالاً ، فعرفوا أن هذه المرتبة لا تنال إلا بالعمل.

الثامنة : **حرصهم على الخير .**

حيث جاء في الحديث : **(فخاض الناس في أولئك)** أي أخذوا يتناقشون من أجل أن يلحقوا بهم ويكونوا منهم وهذا يدل على فضل الصحابة ، وعلى حرصهم على الخير وأنهم ما عرفوا باباً من أبواب الخير إلا سارعوا إليه .

التاسعة : **فضيلة هذه الأمة بالكَمية والكيفية .**

بالكَمية تؤخذ من قوله: **(فإذا سواد عظيم)** أي أعظم من الأول ، وبالكيفية تؤخذ من أنهم حققوا التوحيد بأنهم لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، حققوا هذه الأمور العظيمة بصدق اعتمادهم وصدق توكلهم على الله جل وعلا .

العاشرة : **فضيلة أصحاب موسى** .

وهذه واضحة أنهم أكثر ممن قبلهم .

الحادية عشرة : **عرض الأمم عليه صلى الله عليه وسلم** .لقوله **(عرضت عليّ الأمم)**

وهنا سؤال :ما الفائدة من عرض الأمم عليه أمة ثم أمة ثم أمة ؟ الجواب : حتى يعرف فضل الله عليه و ما امتن به على أمته، فعندما يرى الأمم السابقة ، ويأتي النبي ومعه الواحد ، و النبي ومعه الاثنان ، و النبي وليس معه أحد . وهذا فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم كى

يصبر على ما ابتلى به من أذى المشركين وقد قال صلى الله عليه وسلم : « يَرْحَمُ اللَّهَ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » (١).

الثانية عشرة : أنَّ كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

وهذا واضح .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

وهذا واضح (يأتي النبي وليس معه أحد) .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .

أي يأتي النبي وحده ليس معه أحد ، لماذا ؟ لأنه لم يجبه أحد فهذا فيه تسلية لكل الدعاة في شتى الأزمان والأماكن ، كي لا يحرص الدعاة على تحقيق النتائج ولكن الحرص على أن تكون دعوتهم على منهاج النبوة سواء استجاب للداعي واحد أو اثنان أو أكثربعد يوم أو بعد شهر أو بعد سنة أو بعد عشر سنوات ، هذا لا يهم ، المهم أن تكون الدعوة على منهاج النبوة . على هدي محمد صلى الله عليه وسلم ولا تسأل كم الأتباع ، وكم استجاب لك ؟

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة . وهذا ذُكر سابقاً بالتفصيل أنَّ الإنسان لا يغتر بكثرة الهالكين ، ولا يستوحش من قلة السالكين المهتدين ، فقد جاء في الحديث الصحيح: « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم [أو :خذلهم] حتى يأتي أمر الله** » (٢) أو كما قال صلى الله عليه وسلم بألفاظ مختلفة ، فالطائفة تطلق على الواحد فصاعدًا ، أي قد تطلق الطائفة على الشخص الواحد ، فما فوق ، فأهل الحق دائمًا قلة فلا يستوحش السالك من قلة أهل الحق .

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحُمَة .

---

١) رواه البخاري برقم (٣٤٠٥) ، ومسلم برقم (١٤٠) - {١٠٦٢} .
٢) رواه البخاري برقم (٧٣١١) ، ومسلم برقم (١٧٠) - {١٩٢٠} .

وهذا واضح بنص الحديث : « **لا رقية إلا من عين أو حُمَة** » .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : « قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا » ، فعَلِم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .

الحديث الأول : لا رقية إلا من عين أو حُمَة ، والثاني : فيه نهي عن الاسترقاء ، أي طلب الرقية ، إذاً لا تضارب ولا تضاد بين الحديثين ، لأنَّ الأول يُحمل على من رقى نفسه أو رقاه غيره بدون طلب فهذا مشروع لا إشكال فيه، والثاني يحمل على من طلب الرقية وهذا تركه أولى.

الثامنة عشرة : بُعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .

تؤخذ من قوله: « **أما إني لم أكن في صلاة** » .

التاسعة عشرة : قوله : أنت منهم : علم من أعلام النبوة .

حيث ثبت عكاشة رضى الله عنه على الإسلام ومات على الإسلام ، وهذا فيه إخبار بما سيكون وهذا علم من أعلام النبوة.

العشرون : فضيلة عكاشة .

لهذه الشهادة وأنه شُهد له بذلك .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض.

المعاريض أنك لا تكذب لكن تقول شيئاً فيه تورية وتعريض ، وهذه تؤخذ من جوابه صلى الله عليه وسلم على من قام بعد عكاشة رضى الله عنه وقال له : **ادع الله أن أكون منهم** ، حيث قال : **سبقك بها عكاشة** ولم يقل له : لست منهم مثلاً ، وإنما أتى بعبارة رضي بها السائل وسكت. واستعمال المعاريض بحث كبير مبسوط في كتاب « الآداب الشرعية » ([1]) لابن

[1]) انظر كتاب « الآداب الشرعية » (١ /١٤.٣٣) ط عالم الكتب .

مفلح تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وفيه بيان الفرق بين المعاريض والكذب ، ومتى تستعمل المعاريض ، وما هي الضوابط في استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون : حُسن خلقه صلى الله عليه وسلم .

وذلك لأنه لم يواجه الشخص الآخر بأنه ليس منهم صراحة وإنما رد عليه بهذه العبارة : **سبقك بها عكاشة .**

والله أعلم .